

## سيرة القديس يوحنا الذهبي الفم



أيقونة القديس يوحنا الذهبي الفم

### الطروبارية

لقد أشرقت النّعمة من فمك  
مثل النار، فأنارت المسكونة،  
ووضعت للعالم كنوز عدم  
محبة الفضة، وأظهرت لنا سمو  
الاتضاع، فيا أيها الأب  
المؤدّب بأقواله، يوحنا  
الذهبي الفم، تشفع إلى الكلمة  
المسيح الإله أن يخلص نفوسنا.

وُلد قديسنا ما بين عامي 344 و 347 في أنطاكية. وقد نشأ وعاش في وسط أرقى المجتمعات. كان والده سوكوندس من قادة قوات الشرق، ووالدته أنثوسة كانت تنتمي إلى أهم أسر المدينة. فقد والده فور ولادته تقريباً، وبقيت أمه أرملة عشرين سنة رافضة كل زواج متفرّغة ومتخصّصة كلياً بتربية ولدها.

قطع القديس يوحنا الذهبي الفم كلّ مراحل الدراسة، وبعد علومه الأولى، درس الخطابة، والتي وصل فيها إلى البلاغة الساحرة، والتي خلعت عليه لقب "الذهبي الفم"، وإن شئنا نقول، أنها أطلته المحلّ الأول بين خطباء المسيحية.

كان للقديس يوحنا الذهبي الفم نفس رسولية كنفس بولس الرسول، وكانت له نفس الغيرة على خلاص الأنفس، ونفس حبّ المسيح، وكانت له نفس الجرأة أمام أقوياء العالم. وقد كان حظّ القديس يوحنا الذهبي الفم من الاضطهادات مثل نصيب بولس الرسول وخصوصاً في السنين الأخيرة من حياته.

أراد قديسنا أن يعتنق الحياة الرهبانية، لكن أمه التي لم يكن لها تعزية غيره عن موت زوجها، لم ترض أن تخسر تعزيتها الأخيرة بابنها، ورجته أن لا يتركها قبل موتها. فبقي القديس إلى جانبها ملتزماً في منزله ب حياة الرهبان، وموزعاً وجوده بين السماء والدته.

وبعد انقضاء أجل والدته لم يكن شيء يمنعه من اعتناق حياة العزلة، لكن بعد انتهاء سنتين زعزعت التفتشات القاسية صحته إلى حد أنها أجبرته على ترك العزلة والعودة إلى أنطاكية. وهناك احتفظ به الأسقف ملاتيوس ورسمه شماساً في عام 381. لم يكن في فتره شموستيه واعطاء إنما أيضاً معلماً للتعليم المسيحي.

وفي عام 386 رسمه الأسقف فلافيانوس كاهناً وكلفه نهائياً الوعظ في أنطاكية، حيث بقي فيها كاهناً لمدة اثنتي عشرة سنة، كائناً فيها خطيباً يعظ دورياً في الكنائس المختلفة وفي كل فصول السنة.

وفي أواخر عام 397 توفى أسقف القسطنطينية نكتاريوس، وبموته أصبح الكرسي القسطنطيني شاغراً، فاختر القديس يوحنا الذهبي الفم أسقفاً للقسطنطينية.

ما كاد القديس يستقر في القسطنطينية حتى أخذ يدخل التغييرات والتعديلات المزعجة لبعض الفئات ويعمل بذلك على إثارتها ضده. وكانت هذه الفئات من الناس لها علاقة قوية مع الإمبراطورة افذوكسيا، فقرروا العمل على إهلاك القديس، فقاموا بنفيه للمرة الأولى، لكن هذا النفي لم يطل. فقد تار الشعب وتعاضم من جهة، ومن جهة ثانية ارتجفت القسطنطينية في الليلة التالية بهزة أرضية عنيفة، فندمت الإمبراطورة على فعلتها وبعثت تستدعي القديس من منفاه وتم استقباله استقبالاً حافلاً.

وفي خريف 403 أقام زوج الإمبراطورة تمثالاً لها ونصبه بإزاء الكاتدرائية، فحزن القديس وتذمر فلم تعره الامبراطورة أي اهتمام، فاحتج القديس وغضبت الإمبراطورة افذوكسيا، فبادلها كلمات أقسى، فدعت الإمبراطورة البعض، فتأمروا على القديس وعزلوه للمرة الثانية، وعند اقتراب فصح عام 404 كان القديس سجيناً، فلم يقبل الشعب والكهنة والشمامسة هذا القرار، فأرسلت الإمبراطورة جنوداً حاوطوا الشعب الذي كان داخل الكنيسة، وعكروا الخدم الدينية، وضربوا الكهنة والشيوخ والنساء.

وفي 20 من حزيران سُمح للقديس أن يدخل الكنيسة للمرة الأخيرة حيث صلى وودع الأساقفة، ثم أعطى النصائح الأخيرة للشمامسات الفاضلات وودع الجميع بكلمات مؤثرة ومحرّكة، ثم خرج من الباب الشرقي ليخضع الشعب الذي كان ينتظره علناً على الباب الغربي.

أقام القديس في نيقية أربعين يوماً أو أكثر، وعلى الرغم مما كان عليه من مضائق السجن وقسوة الجنود، فإن نفسه ظلت تتوقد غيرة على خلاص النفوس في سورية وفينيقية. وفي الرابع من آب 404 تم نقل القديس إلى منفاه الأخير. وبعد سفر دام ستة وخمسين يوماً وصل الأسقف القديس في آخر أيلول إلى منفاه في بلدة كيكيز في شمالي طوروس.

وعلى الرغم من بُعد إقامته، كان يتصل أيضاً بقسم الكنيسة الشرقي، وكان يُدير من هناك الأجزاء المسيحية والإرساليات التبشيرية، وكانت هذه الجهود تستنفد حيويته. فغضب مبغضوه من أعماله فأمر الامبراطور بنقله إلى بلاد القفقاس. قام بهذه المهمة جنديان قليلي الرحمة، فنقلوه من غرب جنوب آسيا الصغرى إلى شرقها الشمالي بدون راحة. وفي نيقودمية استراحوا داخل كنيسة باسم القديس الشهيد فاسيليوس، فظهر القديس الشهيد للقديس يوحنا وقال له: "تشجع يا أخي غداً سنكون معاً".

وفي اليوم الثاني وبعد سفر خال من أي رحمة، وبعد سفر ستة كيلومترات أعادوا القديس إلى الكنيسة مرة أخرى بعدما انهارت قواه، وهناك خلع نعليه ولبس اللباس الكهنوتي الأبيض، وفرّق في الحاضرين ما معه، وطلب المناولة الإلهية، فتقبل جسد ودم الرب، ثم أخذ في الصلاة، بعدها ردّ قائلاً: "الحمد لله على كل شيء" ثم رسم إشارة الصليب، ومدّد رجليه ورقد بالرب، وكان ذلك في 14 أيلول 407.

# بدء العام الجديد

## عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

الذي فعلته من أعمال البر؟ كيف أترك هذه الحياة دون أن أتزوّد شيئاً من أعمال الحق؟ ينبغي لنا أن نفكر بحكمة في أول الشهر. يجب أن نذكر الكلمات السابقة عن تداول الأعوام. لنفكر في اليوم الآتي حتى لا يُقال عنا كما قال نبيّ الله عن اليهود: "أفني أيامهم كنفس وسنيهم كالفجاءة" (مزومر 33:77). إنّ مراقبة الأيام عملٌ مغايرٌ لروح الحكمة المسيحية وتضليلٌ وثي. إنّك قُبلت مع الأجناد السماوية وأصبحت مع جماعة الملائكة حيث لا يُبدّل نور النهار بظلام الليل بل هناك نهار دائم لا يزول، ليس لك هناك ما يتفق مع هذه الدنيا، كشروق الشمس وغروبها وتبدل الأيام، لكن إذا صرفت حياتك بالبرّ والصلاح فالليل يكون عندك نهاراً، وعكس ذلك يكون الذين يصرفون حياتهم بالكفر وعدم الاعتدال، فيتحول نهارهم إلى ليل داج لأنّ نفوسهم أظلمت. فلنتجنّب الأعمال التي لا تأتي بنفع، لأنّ الرسول المملوء حكمة يأمرنا أن نعمل حسب قول الربّ: "إن أكلتم أو شربتم أو عملتم شيئاً فاعملوا كلّ شيء لمجد الله" (كورنثوس الأولى 10:31).

لنهتمّ بالأعمال لا بالأقوال. ولنمجد بلا فتور المسيح الربّ الذي يليق به مع الأب الأزليّ والروح الكليّ قدسه كلّ مجد وإكرام وسجود، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

للآخرين أن يتبعوه. ألم نسمع قول القديس بولس الرسول: "فإنكم تحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين فأنا أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً" (غلاطية 4:10-11). ومن جهة أخرى، ليس من المعقول أن يُبنى على يوم واحد صرّف بسرور، الشّيء نفسه طوال العام كلّهُ.

إذن لا يجوز لنا مراقبة الأيام وأن نحبّ بعضاً منها ونفتر من غيرها. بل علينا أن نعلم جيّداً أنّه لا شرّ إلاّ من الخطيئة ولا خير إلاّ من أعمال البرّ. السرور لا يكون بالسُّكر بل بالصلوات الروحية، وليس بالخمير والملاهي بل بالوعظ والإرشاد. فالسُّكر يُحدث الهياج، والإرشاد يهدئ الاضطراب. الأول يظلم العقل والثاني يبين الظلام. الأول يسبب أحراناً لم تكن في البال والثاني يبنيها مهما كانت.

على المسيحيّ ألاّ يحتفل بشهور محدّدة، ولا بأول يوم من الشهر، ولا بأيّام الأحاد فقط، بل عليه أن يصرف أيّام حياته كافّة في احتفال دائم. ما هي الحفلات التي تناسب المسيحيّ؟ لنسمع ما علّمه رسول المسيح: "فلنعيد إذاً لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق" (كورنثوس الأولى 5:8). إذاً إن كان ضميرك نقيّاً فاحتفالك يدوم لأنك تتعزّى بالنعم الآتية. وإن كنت متقلّلاً بالخطايا الكثيرة، فالحفلات لا تكون لك أحسن من الماتم، ولا نفع لك من يومك السعيد، إن كانت نفسك معذّبة بتأنيب ضميرك. فإن كنت تريد النفع لنفسك من اليوم الأول من الشهر فاعمل هكذا. وإذا بلغت اليوم الأخير من السنّة فاشكر الإله السماوي الذي أوصلك إلى نهاية العام. اتضع بقلبك، واعدد أيّام حياتك، وقل لنفسك: الأيام تمرّ وتذهب، والأعوام سوف تنتهي، وقد مضى القسم الأكبر من حياتي فما



كثيراً ما يرافق لقاء العام الجديد عند المسيحيين كفر وإفراط وعدم اعتدال. أمّا الكفر والإفراط فلأنّ الكثيرين من المسيحيين يتفاعلون ظانين أنّه إذا مضى عليهم اليوم الأول من السنّة وهم مسرورون، فالعام كلّهُ سيمضي كذلك. وأمّا الإفراط وعدم الاعتدال، فلأنّ الجميع رجالاً ونساءً يحتسون الخمر حتّى الصبّاح.

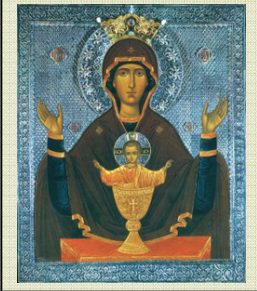
فهذا السلوك لا يتفق مع حكمة الروح المسيحي إذا اتّبناه، أو سمحنا



## اقبلني اليوم

من وحي إحدى العظات التي ألقاها صاحب السيادة المتروبوليت قسطنطين

"خذوا كلوا، هذا هو جسدي، وأخذ كأس وشكر وأعطاهم قائلًا: "اشربوا منها كما، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26:26-28)



"خوف الله وأيمان ومحبته تقدموا"، هذا كلام ابتدأ مع الرسل، ودائمة حقيقته بالنسبة للذين انضموا للمسيح بالمعمودية فأصبحوا أصحاب البيت يتشاركون الطعام الإلهي من خلال "سرّ الشكر"، وكما يقول نيقولا كاباسيلاس " الأسرار هي بمثابة أبواب السماء التي بها يدخل المسيحي المؤمن إلى ملكوته. إذًا هذه الحقيقة الدائمة هي دعوة مستمرة للعشاء السري المقام في القداس الإلهي، الذي فيه نقّات الخبز والخمر فنحيا إلى الأبد، فالمناولة هي أحد امتدادات المسيح في التاريخ الإنساني بحال غير منظورة أو "سرية" بقوة

ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأنّ جسدي حقاً هو مأكّل ودمي حقاً هو مشرب. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الأب الحيّ وأنا حيّ بالأب، فمن يأكلني فهو أيضاً يحيا بي". (يوحنا 6:53-57).

يفسر القديس يوحنا الذهبي الفم معنى "سرّ الشكر" في عظته الثانية والثمانين حول إنجيل يوحنا:

- "بما أنّ الكلمة أكّد لنا قائلًا، هذا هو جسدي، لنقبل ذلك وننظر إليه بعين

الروح القدس، وحدث المناولة هو ما يخفى عن غير المؤمن ويُدرّك في شركة الأيمان. هو ما أعلن لنا بالمسيح يسوع (رومية 16 : 25 وأفسس 3 : 2 - 4) وقد قال لنا يسوع في إنجيل يوحنا أيضاً:

"هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء، إنّ أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي سأعطيّه أنا هو جسدي الذي سأبذله من أجل حياة العالم". (يوحنا 6:50-51).

فقال لهم يسوع: "الحقّ الحقّ أقول لكم، إنّ لم تأكلوا جسدي

الأيمان، لأن المسيح... أعطانا الحقائق الروحية بشكل حسيّ.

• كم من مؤمن يقول اليوم، "يا ليتني أرى الربّ في الجسد، أرى وجهه وثيابه"، لكنك تراه هو بنفسه وتلمسه، بل لتقبله في داخلك مخلصاً وسيّداً.

هنا وجب لفت الأنظار إلى أمور عدّة منها:

إنّ بعض الإخوة المتقدمين للمناولة يفتحون أفواههم بعيون شاخصة إلى الأب الكاهن منتظرين أيّاه أن يقوم برمي جسد ودم الربّ رمياً بارداً داخل تلك الأفواه، وفي هذا تصرّف غير لائق تجاه الربّ أو تجاه الجسد والدم اللذين ضحّى بهما من أجل خلاصنا. العلاقة مع الربّ هي علاقة عشق ذات قطبين؛ قطب الربّ الإله وقطب المؤمن. هي إذًا هذا اللقاء بين القطبين الحبيبين، فيضم الحبيب معشوقه بواسطة الشفتين مرسلًا أيّاه داخلًا كي يحيي القلب والروح. والله عالم ما في القلوب.



أيقونة العشاء السري

اقبلني اليوم شريكاً لعشاءك السري يا  
ابن الله، لأنني لست أقول سرّك لأعدائك،  
ولا أمطيك قبلة نائحة مثل يهوذا، لكن  
خالصاً أمتروك لك هاتفاً: اذكرني يا  
ربّ إذا أتيتَ هي ملكوتك.

لا يجوز إذا رمي الجسد والدم هكذا في الفم، واجب علينا أن نغلق عليه شفاهنا ونضمه إلى ذاتنا لنلتحم فيه بالربّ فادينا.  
يقول أحد الشعراء الأرثوذكس في قصيدته "القران الروحي":

أضمّ الحبيب إليّ فتهم به روعي... هللويأ ...

الأمر الثاني هو أنّ المزاجيّة في القدّاس الإلهي مرفوضة، علينا أن نعرف أن لقاءنا مع المسيح إن كان ضعيفاً فهو يقوى في  
القدّاس، واللقاء الأعظم هو هذا الذي يريده السيّد عندما دعانا إليه بقوله: "خذوا كلوا هذا هو جسدي.  
ويقول بولس الرسول أيضاً: "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد" (1كور 10:17).  
هذه مناسبة لنغفر لمن أساء إلينا فننمو في الطهارة ونقوى أمام المحن والصعاب، نردّد دائماً في الصلّاة الرّبانيّة: "... خبزنا  
الجوهريّ أعطنا اليوم واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليه ولا تدخلنا في تجربة...".  
في الظاهر، أنا أتناول من يديّ الكاهن، لكن في الحقيقة أنا أتناول من يديّ المسيح جسده ودمه، وما هذا كلّهُ إلا دعوة لا يمكن  
للمؤمن الحقيقيّ رفضها.

"ومتى قمتم تُصلّون، فإن كان لكم على أحد شيء فاعفروا له لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم". (مرقس 11:25).

يروى مرّة أن أحد المؤمنين زار أباه الروحيّ بهدف الاعتراف، فجلسا سوياً أمام الأيقونة وابتدأ بالكلام:

الابن الروحيّ: أبتاه لديّ مأخذ على أحد الأشخاص ولا أستطيع أن أغفر له

الأب الروحيّ: وما أنت فاعل بهذا الأمر؟

الابن الروحيّ: لن أفعل شيئاً، فمهما حدث، لست بغافر له ما فعله بي.

الأب الروحيّ: ... إذا هيّا بنا نركع سوياً ونصلّي. فما كان من الأب الروحيّ إلا أن ابتدأ بالصلّاة الرّبانيّة قائلاً: "أبانا الذي ... ولا

تترك لنا ما علينا كما نحن لا نترك لمن لنا عليه...".

قاطعته الابن الروحيّ بسرعة: أبتاه أنت تخطيء في تلاوة الصلّاة ... ليست هكذا !!!

الأب الروحيّ: "أنت قلت... وأنا أتلو الصلّاة كما أخبرتني..."

عندها فهم الابن الروحيّ ما يرمي إليه أبوه الروحيّ؛ وهو المعنى الحقيقيّ للصلّاة والتي لا يمكن إلا أن تفعل في حياتنا، عندئذ

توجّه محوّلًا أن يصلح ما كان قد تهدّم واعدّ أباه الروحيّ أن يعود إليه بنفس نقيّة.

إذا المطلوب منّا أن نرمي أنفسنا في حضن يسوع مستحقّين، مصلّين، متخشّعين، متواضعين، فالقلب المتواضع لا يردّله

الله، عندها نصبح محبّين لكلمة الله ومشتاقين أن نتناول جسد الحبيب ودمه فنحيا بمحبته لنا ممّا يرفع مستوى محبّتنا له.

ونحن نحبّه لأنّه أحبّنا أوّلاً.

# الشيطان والسحر

## في فكر القديس يوحنا الذهبي الفم

هذه النصوص مختارات من كتابات معلم الكنيسة القديس يوحنا الذهبي الفم، جمعها الراهب بنديكتوس الأثوسي، من منشورات إسقيط القديسة حنة

### نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

#### زمان سقوط الشيطان وسببه

يعلّمنا الكتاب المقدّس أنّه قبل خلق الإنسان، رُمي الشيطان وكلّ الذين تبوّأ نظرتهم من خدمتهم السّمائيّة بسبب غرورهم وغطرستهم. بالنتيجة، كانت سقطة إبليس ابتداء الموت في العالم على ما يقول الحكيم: "مكر الشيطان كان ابتداء الموت في العالم" (حكمة 2:24).

إذا أخبروني، لو لم يكن الشيطان قد سقط قبل خلق الإنسان، كيف له أن يكنّ كلّ هذا البغض للإنسان؟ لو لم يكن الشيطان قد سقط قبل خلق الإنسان لكان ما يزال في كرسيه السماوي. هذا لأن كراهية الملاك للإنسان غير مبررة. إن الإنسان، المخلوق الذي يحمل جسداً، ينظر بتقدير كبير إلى الملاك. ومع هذا، فقد سقط الشيطان من أعلى المجد الذي كان فيه إلى أسوأ ما قد يكون. كلّ هذا جرى حين كان روحاً لا جسداً له. لقد راقب الإنسان المخلوق، لابساً جسداً ومتمتعاً بمرتبة عالية بسبب محبة خالقه له. لهذا السبب، إبليس الملاك الساقط، أحسّ بحسد عظيم. وهكذا، بالخدعة عن طريق الحية، جعل إبليس الإنسان مذنباً ومعاقباً بالموت. هذا هو الشرّ! إنّهُ لا يتحمّل سعادة الآخرين بهدوء. وهكذا إذا، الكلّ يعرف أنّه في الزّمان القديم، سقط الشيطان وجنوده من النعمة السّمائيّة، وفوق هذا فقدوا فضيلتهم.

#### أسباب سقوطه: اللامبالاة، الغرور واليأس المتهور

كان الشيطان طاهراً قبل سقوطه. لكن بما أنّه دخل في اللامبالاة غلبه اليأس فسقط في حقد عظيم صار عاجزاً عن سحب نفسه منه. تظهر حقيقة أنّه كان طاهراً في الكتاب المقدّس: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ." (لوقا 10:18). تظهر مقارنة سقوطه بالبرق حالته السابقة وسرعة سقوطه.

إنّ الذي يتأثر بإبليس يمارس الغرور بالطريقة نفسها، لأن إبليس سقط بسبب الغرور. لهذا علينا أن نحرس على الامتناع عن هذا الهوى، حتّى لا نسقط في الخطيئة التي ارتكبتها، وإلّا فسوف نكون مسؤولين عن انضمامنا إلى اللعنة نفسها واشتركا بعقابها.

صار الشيطان على هذا الحال لأنّه سقط أولاً في اليأس ومن اليأس تابع إلى السقوط في الغطرسة. فقط لهذا السبب وليس لأيّ سبب آخر.

#### حسد الشيطان

إنّي أذهل من عظمة حسد الشيطان ومكره. فكونه المضللّ والشيطان، لا يستطع تحمّل رؤية السيرة الملائكيّة في جسد

لقد تمنى أن يعاملنا بالطريقة ذاتها التي بها طرد من النعمة المعطاة له، عند بداية غروره. وبعضياته الوصية أراد أن يقدك إلى عقاب الموت لكي يرضي مكره. هذا تماماً كما قال أحدهم "مكر الشيطان كان ابتداء الموت في العالم" (حكمة 2:24). الشيطان الذي يتحرك بدافع الكراهية والحسد، ولا يستطيع أن يتحمل رؤية البركات التي مُنحت للإنسان مباشرة منذ البداية، سعى إلى المكر ومنه إلى الخديعة التي تسبب الموت.

### الشيطان وأتباعه قوى من مرتبة أدنى من الملكوت

هؤلاء السلطات، والرؤساء والعروش سماويون. أما سلطات ورئاسات الشيطان فهي دون السموات. هذا هو سبب تسميتها بالسائدة على العالم. إنه لإظهار أن السموات ليست مفتوحة لهم وأن مجال ممارسة سلطتهم الاستبدادية هو هذا العالم.

### وجود كتائب من الشياطين

"فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات." (أفسس 6:12). تماماً كما هو مكتوب، يوجد عروش وسلطات وولاة ورؤساء، وهكذا أيضاً عند أرواح الخديعة.

### تسمية الشيطان

هو ليس فقط الذئب، بل أيضاً الأسد، لأنه قد قيل: "اصحوا واسهروا. لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتصقاً من بيتك هؤلاً." (1بطرس 5:8). إنه هو الحية والعقرب، كما هو مكتوب: "ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتذوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء." (لوقا 10:19).

### أ) رئيس العالم وهذا الدهر

"لا أتكلّم أيضاً معكم كثيراً، لأنّ رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء." (يوحنا 14:30). المسيح يسمي الشيطان رئيس هذا العالم ويسمي الناس الماكرين بالشيء نفسه، لأنه ليس رئيس السموات والأرض، وإلا لكان طرح كل شيء ودمره. لهذا هو يسميه "والي هذا الدهر" (أفسس 6:12).

لماذا يسميه رئيس هذا العالم؟ لأنّ كل الجنس البشري تقريباً قد أخضع ذاته له، وهم خدامه طوعياً. وما هو أكثر من ذلك، لقد فعلوا ذلك بإرادتهم. لا ينتبه أحد للمسيح الذي وعد بأن يمنحنا خيرات لا تحصى. بالمقابل، الكل مطيع لذاك الذي لا يعد بشيء لا بل أيضاً يرسلنا إلى الجحيم. ولكن، إذا كان والي هذا الدهر وله سلطة على الأرواح أكثر مما لربنا، ومطيعوه أكثر عدداً من مطيعي الرب يسوع المسيح (ما عدا قلة صغيرة)، فسبب هذا هو تراخيها.

### مكان الشيطان

إنّ للشيطان سلطة روح الهواء، بحسب ما يقول المسيح، لأنّ المكان الذي يحتله الشيطان هو تحت السماء ولأنّ القوى غير المتجسدة هي أرواح في الهواء. استمعوا للرسول بولس يؤكد في نهاية رسالته إلى أفسس أنّ سلطة الشيطان ليست أبدية بل هي تنتهي مع انتهاء الدهر الحالي. فهو يقول: "فإنّ مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات." (أفسس 6:12). هذا حتى لا تصدقوا أنه مادي عندما تسمعون أنه والي هذا الدهر الذي يسمي في مكان آخر من الكتاب المقدس: "دهر الخديعة والضلال". طبيعي أن الكتاب المقدس لا يعني الأشياء المخلوقة. وهكذا، أنا أؤمن بشكل ثابت، أنه إذا صار سيّد ما تحت السماء، حتى بعد عصيانه، فلن يتخلّى عن سلطته.

**(ب) معاند وشريير**

الكتاب المقدس يسميه بالمعارض والخبيث لأنه يشي على الله عند الإنسان، وعلينا عند الله، وحتى بين بعضنا البعض. في مكان آخر، في سفر أيوب، يقول الشيطان لله: "هل مجاناً يتقي أيوب الله؟" (أيوب 1:9)، ومرّة أخرى إنه يشي بالله عند أيوب قائلاً: "نارُ الله سَطَطتْ مِنَ السَّمَاءِ" (أيوب 1:16). وقد وشى بالله عند آدم أيضاً بقوله كما هو مكتوب: "فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»" (تكوين 3:4-5). وأكثر من ذلك، هو يقول لكثيرين اليوم: "لا يلتفت الله إلى الكثير من الأمور التي ترونها، لكنه ترك للشياطين الاهتمام بكل ما يخصكم". لقد افترى الشيطان حتى على المسيح عند العبرانيين مسمياً آياه بالمخادع والغشاش والساحر.

ومع هذا فقد يرغب البعض بمعرفة كيف يعمل. عندما يجد فكراً خالياً من محبة الله، وعندما لا يجد نفساً حكيمة، أو نفساً لا تتأمل بوصايا الله ولا تحفظ ناموسه، عندها يسعى لاعتقال هذا الإنسان. لاحقاً، يتركه. لو أن آدم عندما كان في هذه الحالة تأمل بوصية الله القائلة: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2:17)، لما كان تحمل كل ما عانى من الألم.

**(ج) "الأسد"**

يُدعى الشيطان أسداً في الكتاب المقدس. اسمعوا ما يقول: "اصْحُوا وَاسْهَرُوا. لِأَنَّ إِبْلِيسَ خَصَمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ." (1 بطرس 5:8). والقول نفسه في مكان آخر: "عَلَى الْأَسَدِ وَالصَّلِّ تَطَأُ. الشَّبَلُ وَالثُّعْبَانُ نَدُوسٌ." (مزمو 13:91). يأخذ الوحش أشكالاً كثيرة، لكن إذا كنا ساهرين، يصبح هذا الأسد وهذه الحية أطفه من الطين. لن يأخذ الشيطان موقعه ضدنا مباشرة. وحتى ولو ظهر فبإمكاننا أن نسحقه، لأنه مكتوب: "هَآ أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِنَدُوسُوا الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ." (لوقا 10:19).

**هو عادم القوة أمام المسيحيين**

يطوف الشيطان باحثاً عن فريسة في كل مكان، بغضب كبير تماماً كما يفعل الأسد. وفي كل الأحوال، إذا استطاع أن يوجه الإهانة إلى الذين يحملون المسيح وصلبيه على جباههم، وإلى نار الروح القدس وشعلتها التي لا تطفأ، إلا إنه عاجز حتى عن النظر إليهم. لهذا هو سوف يدير ذنبه ويرحل غير متجرباً على العودة مجدداً.

لكي تعلموا أن كل ما قيل ليس مجرد كلمات، أناشدكم أن تقرأوا كتابات الرسول بولس. هذا لأنه كان إنساناً أيضاً. في أي حال، بما أن هذا الأسد كان خائفاً جداً من بولس، فقد تجنب حتى ثيابه وظله. هذا كان طبيعياً جداً وسببه أن الشيطان لم يستطع أن يتحمل عبير المسيح الذي انبثّ صادراً عن شخص بولس، ولا هو استطاع حتى أن يرفع عينيه نحو تلك الشعلة الفاضلة.

**(د) المجرّب الأبدي**

يقول الإنجيل ببساطة أن الإنسان شرير، ولكنه يسمي الشيطان مجرباً عند كلامه عنه. لماذا؟ هذا لأن الشيطان صار أبا الشر. ولهذا السبب هو يُدعى المجرّب الأبدي أو المغوي، وهذا يكفي. وبدل الاسم الأول فإن اللقب يُستعمل بسبب طاقته المفرطة على الإغواء التي لم تُخلَق فيه بل اكتسبها لاحقاً.

"لكن نجنا من الشرير" (متى 13:6). الإنجيل يُسمي الشيطان "الشرير" ويحفّزنا على الدخول معه في معركة لا تنتهي. إنه يشرح أيضاً أن هذا الشرير ليس أصلاً من طبيعته، لأن الشرير ليس من مكونات طبيعتنا، بل هو نتيجة الإرادة.



إنه يُدعى هكذا بشكل خاص، أي بالشرير، بسبب شره المفرط. وحتى لو لم ترتكب أي ظلم نحوه بأي شكل من الأشكال، فهو قد أعلن علينا حرباً لا تلين. لهذا السبب لم يقل ربنا يسوع المسيح "تجنا من أمور الأشرار" بل قال "تجنا من الشرير". إنه يعلمنا أن نحسن مع إخوتنا البشر بغض النظر عما يفعلون لنا، ولكن أن نوجه غضبنا إلى الشيطان لأنه مصدر كل الشرور. عندما يقول "لأن لك الملك..." (متى 14:6)، يظهر أن الشيطان مدع، فيما هو عدونا ومن الجلي أنه يحاربنا، لكن هذا بإذن من الله. فهو أحد خدام الله، مع أنه أحد الذين تمردوا ووقفوا في وجه الرب. لم يكن المتمرد ليهاجم أيًا من خدام الرب لو لم يكن قد أخذ إذنًا من العلي. ماذا أقول لخدامه المخلصين؟ أقول أن الشيطان يعجز عن مهاجمة حتى الخنزير، لو لم يكن مسموحاً له بذلك. لو لم يُعط إذنًا من السماوات لما كان كانن قادراً على مهاجمة الخراف ولا حتى الماشية.

### (هـ) وحش شرير كثير الأسماء والأشكال

الشيطان بكل قوته هو مثل الخنزير الوحشي والوحش البري لأن مظهره وحشي وقذر. عندما أراد الإنجيل أن يعلن اغتصابه قال عنه أنه "كأسد زائر، يجول مُلتمساً من يبتلعهُ هو". (1بطرس 5:8). في أي حال، عندما يريد الإنجيل أن يفضح حقه المؤذي القاتل المأسوي، يدعوه الحية والعقرب، فيقول "ها أنا أُعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضرُّكم شيء". (لوقا 19:10). ومجدداً، عندما يريد أن يظهر قوته ومعها اختصاصه في التسميم، يسميه الحية (أو الثنين). تماماً عندما يقول: "هذا الثنين الذي خلقته ليلعب فيه" (مزمر 26:103). في كل مكان، يسمي الثعبان الشرير والأفعى التي تتصرف كمعيق. إذا، الوحش مركب ومتعدد الأشكال. وفوق هذا، إنه ذو قوة هائلة. إنه يثير كل شيء، يعكّر الجميع ويقلب كل شيء رأساً على عقب.

لكن لا تخافوا ولا ترتعدوا. فقط ابقوا متيقظين وحذرين، فهو سوف يظهر كمثّل عصفور لا يؤدي. قد قيل: "ها أنا أُعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضرُّكم شيء". (لوقا 19:10). إذا أردنا ذلك، لقد أعطينا السلطة لكي نسحقه بأرجلنا.

لاحظوا إذاً، مدى غرابة كل هذا البؤس. ذلك الذي ينبغي أن يكون تحت أرجلنا هو الموجود فوق رؤوسنا. كيف يحدث هذا؟ الأمر يتوقف علينا بشكل كامل. إذا رغبتنا به يكون كبيراً، وإذا أردناه يكون صغيراً. إذا انتبهنا لأنفسنا وبقينا مع ملكنا، يكون تحت السيطرة وفي المعركة التي يخوضها ضدنا لا يكون أكثر من ولد صغير. ومتى ابتعدنا عن ملكنا يصبح متغطرساً يصير بأسنانه ويزأر لأنه وجد أننا لسنا إلى جانب حليف عظيم. هذا لأنه لا يهاجم إلا إذا أذن له الله بذلك.

### متى يأذن الله له بمهاجمتنا

يسمح الله ببعض الهجمات علينا، عندما يريدنا أن نصلح أنفسنا أو عندما يطلب منا التكفير أو ليزيد من امتحاننا، كما فعل مع أيوب. أترون أنه (الشيطان) لم يدن من أيوب ولا تجرأ على الاقتراب منه وحتى أنه خاف وارتعد من التفكير به؟ لماذا أتحدث عن أيوب؟ هذا لأنه عندما هاجم الشيطان يهوذاً، لم يجروء على القبض عليه بالكامل والدخول فيه، إلى أن قطعه الله من جماعة الرسل المقدسة. إذاً، في البداية هاجمه الشيطان خارجياً لأنه عجز عن الدخول فيه. بينما عندما رأى أنه قطع من بين الرسل القديسين انقض بعنف أكثر من الذنب ولم يتراجع إلى أن أمات يهوذا موتاً مزدوجاً، جسدياً وروحياً. الوحش شرير ويعمل كل شيء ضد خلاصنا.

### برهان شره

ماذا أقدر أن أفعل؟ فربكم محب للبشر! هو يفضل أن تجدفوا عليه بكلمات آثمة على أن يسلمكم إلى أيدي الشياطين حتى تتعلموا من الخبرة المباشرة كيف يسوسون الأمور. متى امتلكتم الخبرة تصبحون أكثر إماماً بعنفهم. لكن يمكنني أن أعطيكم الآن مثلاً صغيراً فقط

لاقى المسيح بعض الأشخاص المسكونين خارجين من بين القبور، وسألوه أن يسمح لهم بالدخول في قطيع الخنازير. أذن لهم، فدخلوا في القطيع ورموه مباشرة عن جرف الجبل.

هكذا تتسلط الشياطين، مع أنهم كانوا بلا حجة لفضل ذلك بقطيع الخنازير. في أي حال، يختلف الأمر معكم لأن بينهم وبينكم معركة لا مصالح فيها وعداء لا يموت وحرب عديمة الشفقة. بما أنهم لم يتمكنوا، ولو للحظة واحدة، من احتمال القطيع، فهل تتخيلون ما قد يفعلوا بنا إذا أعطوا السلطة بذلك، ونحن أعداؤهم الذين نؤلمهم باستمرار؟ لهذا السبب، سمح الله لهم بالانقضاض على قطيع الخنازير لكي تعرفوا شرهم الفظيع على الحيوانات غير العاقلة. إنه جلي للجميع، أنهم كانوا ليفعلوا الشيء نفسه للمسكونين بالشياطين، أي أولئك الممسوسين السالكين في جنونهم، لو لم يكونوا تحت العناية الإلهية في ذلك الحين.

الآن، إذا التقيتم بإنسان يشوشه ويحركه شيطان ما، فصلوا إلى الرب وافهموا حقد الشياطين. ما سوف تلاحظونه في الممسوسين هو شر الشياطين ومحبة الله للإنسان. يمكنكم أيضاً أن تروا الشر عندما تزعج الشياطين نفوس الممسوسين ويشوشونها. كما تستطيعون تبيان الإله المحب البشر عندما يضبط ويعوق هذا الشيطان المتوحش القوي الذي يعيش في داخل الإنسان ويشتهي سقوطه. ليس مسموحاً للشيطان أن يستعمل كل قوته لكنه مسموح له فقط أن يظهر منها ما يكفي ليصلح الإنسان نفسه ويظهر كراهية الشيطان.

أترغبون أيضاً بمثال آخر عن كيف يتصرف الشيطان بحقه عندما يؤذن له؟ فكروا بقطعان أيوب من الخراف والماعز، وكيف أبيت بلحظة واحدة، بموت أبنائه البائس المفاجئ وبفروحه! عندها سوف ترون وحشية الشياطين الصرفة وبربريتهم وقساوة شرهم. من هذا تتعلمون جيداً أنه إذا سمح الله بأن تكون الأشياء تحت سيطرتهم سوف يقبلونها رأساً على عقب. فسوف يسببون الفتنة فيما بيننا ويفعلون تماماً ما فعلوا بالخنازير وبقطعان أيوب. أبدأ لن يأخذوا خلاصنا بعين التقدير.

إذا تسلّم الشياطين زمام أمورنا، لن نكون أفضل حالاً من الممسوسين، بل قد نكون في حال أسوأ من حالهم أيضاً. هذا يعود إلى حقيقة أنهم لم يكونوا متروكين من الله لحكم الشياطين المطلق وإلا لكانوا عانوا كثيراً أكثر مما عانوه في ذلك الحين.

### التعرّف إلى الشياطين

يتعرّف الإنسان إلى الشيطان من كمية الجلبة التي يحدثها، مسبباً الحماقة والجنون والظلام الهائل في الإنسان. في أي حال، إن من يحمل الله في داخله هو شخص ينير ويعلم بحكمة ما أمر به الله.

### سبب وجوده

لهذا السبب سمح الله له بوجوده: لكي يجعلكم أكثر قوة وليقدّمكم كرياضيين لامعين في المعركة الروحية، فتكون بطولاتكم أكثر قيمة.

فإذا سألكم أحد: لماذا سمح الله بوجود الشيطان؟ هذا ما عليكم الإجابة به: الله لم يمنع فقط عدم أذية الأشخاص الوقورين والمنتبهين، بل أيضاً جعل الأمر مفيداً لهم. وهذا ليس بحسب رغبة الشيطان الشرير والمخادع، بل بحسب شجاعة الذين يستفيدون من فظاعته. الشيطان هاجم أيوب ليس ليظهره أكثر مجداً بل ليغلبه. لهذا السبب هو مخادع، لأن رغباته ونوآياه هي مخادعة. ومع هذا، فهو لم يؤذ الرجل البار أبداً، بل على العكس استفاد الرجل من المعركة على ما أظهرنا سابقاً. وهكذا، أظهر الشيطان اغتصابه وأظهر رجل الفضيلة شجاعته. ولكنكم ذكرتم أنه غلب كثيرين. بالطبع هو منتصر، لكن سبب هذا هو ضعف الأشخاص وليس قوته.

### منفعة وجوده

يقول الناس أنه لو لم يكن موجوداً لما كانت تقع الأمور السيئة. لكن عندها حتى الجحيم يكون بلا مغفرة. في أي حال،

بهذه الطريقة أيها الصديق المحبوب، يكون عقاب الجحيم أخف وطأة. إذا ارتكبنا الشر من أنفسنا لسبب ما فإن العقاب يكون غير محتمل. والآن أخبرني. لو أن آدم ارتكب كل خطاياها من دون مشورة الشرير، فمن كان ليحميه من المخاطر؟ وقد يحتاج البعض بأن آدم ما كان أخطأ. ولكن من أين يأتي بهذا الاستنتاج؟ إذ، إن الذي كان فاتر الهمة وغير مبال، وعلى هذا القدر من الاستعداد للحماقة حتى أنه قبل هذه المشورة، لا بد أنه كان ليقوم بما عمله آدم وأكثر، من دون معونة هذا المرشد. أي شيطان أرشد إخوة يوسف إلى القتل؟

### إذا كنا منتبهين يكون مصدرنا للتقدم الروحي

إذاً، أيها الأصدقاء المحبوبون، إذا كنا حذرين ومنتبهين يصبح الشيطان سبباً لتقدمنا الروحي. أي ضرر أصاب أيوب من خداع الشيطان الجبان؟ إن ضعفاء الروح هم الذين يتضررون. ومع أنهم يتضررون حتى ولو لم يكن الشيطان موجوداً، إلا إنهم يتضررون أكثر بأعمال الغاش. من ناحية ثانية، فإن عقاب الذي يخطأ مجرباً من الشيطان يكون أخف لأن العقوبات ليست نفسها لكل المعاصي.

لا نعدن أنفسنا. ليس الشيطان سبب جراحنا، إذا كنا يقظين. إنه يزيدنا يقظة وهو من يحفزنا. لو لم يكن هناك أي اضطرابات من الأهواء، ولا أمراض ولا حزن ولا ألم ولا أي شيء مما شابه هذه الأمور، كيف يكون الإنسان؟ أرى أنه يصير خنزيراً أكثر منه رجلاً، يأكل ويسكر ولا يزعجه أي من هذه الأشياء. ولكن الأمور كما هي الآن، مع الاهتمام والحرص المعطى لهذه المشاكل، هي تمرين وتهذيب على التقوى والإخلاص لله، كما أنها تربية ضرورية على الكمال.

### مكاسبنا من حروبنا معه

فلنأخذ مثال الحربة عندما تضرب الترس. إذا كان الترس ضعيفاً فإنها تخترقه. أما إذا كان قوياً وصلباً، فإن الحربة تعجز عن أن تسبب له أي ضرر. لا بل على العكس، تسقط الحربة أرضاً بعد أن تكون قد التوت عند هذه النقطة. الأمر نفسه يجري للنفس. أي إذا وجدت السهام التي يرميها الشرير النفس ضعيفةً وواهنةً، فإنها تتغلغل إلى صميمها. أما إذا وجدت النفس قويةً وصامدة فإن الشيطان نفسه يتراجع عاجزاً عارفاً أنه لم يسبب أي ضرر لهذه النفس. وهكذا، ينتج فائدتان، أو بالأحرى ثلاثة، فالنفس بقيت سالمة، وازدادت قوة، فيما الشيطان صار أكثر ضعفاً على أثر مسعاه هذا.

\*\*\*